المقدمة

لن ننسى ـ أنا وزوجي ـ عندما أخذنا ابننا إلى اسكتلندا في أسبوعه الأول في الجامعة، لقد كانت السيارة محملةً بالملابس والمسجلة والحاسب إضافةً للكتاب المقدّس، كما يمكنك تصور مراهقٍ مزاجيٍ يجلس في المقعد الخلفي ويضع اللحاف على رأسه، وكان الحديث مقتضباً وكنت أعاني من الزكام الأمر الذي جعل مهارتي في قراءة لوحات الطريق أسوأ من المعتاد.

وصلنا إلى مكان إقامته المفترض ـ الذي لم يسبق له أن رآه ـ لنجد أن البناء أشبه بباخرةٍ عملاقةٍ متسخةٍ ـ بالرغم من فوزه بجائزةٍ في الهندسة المعمارية منذ بضع سنوات ـ ولكن لم يُسمح لنا بالدخول حتى بعد الظهر وذلك لأن المبنى كان ما يزال قيد التنظيف بعد أن عُقد مؤتمرٌ فيه، وهكذا كان علينا التجوال في البلدة مع ابننا المراهق الذي بقي مكفهراً، ونحن نعلم أن هذه الحالة تخفي وراءها مشاعر الخوف إلا أن ذلك لن يجدي نفعاً.

بعد منتصف النهار كنا نقف مع الآباء الآخرين في طابورٍ خارج المبنى المتسخ، ونتيجةً لخوف ابننا بدأنا بالتحدث مع عائلةٍ أخرى تقف أمامنا وكان ذلك أفضل شيءٍ نستطيع القيام به، كان ابنهم ـ الذي يبدو أكثر ارتياحاً من ابننا ـ يطالع نفس المادة التي يطالعها ابننا وتوجهنا معهم إلى نفس الممر.

وعندما فُتحت الأبواب دخلنا كلٌّ في دوره وبعد ذلك قامت سيدةٌ عضو في لجنة السكن بتحيتنا بصوتٍ عالٍ مطالبةً إيانا بالرسوم وأخذت تصرخ بأعلى صوتها: «التالي» كإشارةٍ إلى أنه يجب علينا التحرك بسرعةٍ وفعلنا ذلك لنجد بعدها أن غرفته لم تكن سوى غرفة صغيرة في الطابق السفلي أشبه بغرفةٍ للعب الورق تم حشر سرير ومكتب وخزانة فيها.

قام ولدنا بإلقاء نظرةٍ سريعةٍ وقال: «هل هذا ما عملت بجدٍ من أجله؟» الأمر الذي جعلني على وشك البكاء، ولكن بدلاً من ذلك قمنا بحشر الأغراض في الغرفة قدر المستطاع أما الباقي فأعدناه إلى السيارة، وفي هذه الأثناء قام زوجي بطرق باب الغرفة المجاورة وتقديم ابننا المحرَج إلى طالبٍ لطيف في السنة الثانية.

لقد قمنا بإلقاء نظرةٍ سريعةٍ على غرفة الغسيل والمطابخ قبل أن يطالبنا ابننا بالمغادرة كما طلب خمسين جنيهاً تحسباً لحالات الطوارئ. لقد بكيت طوال طريق عودتنا إلى المنزل وكان زوجي ـ الذي يتقيد بالقوانين ـ منزعجاً لدرجة أنه ضغط بقوةٍ على دواسة البنزين الأمر الذي أدى إلى مخالفتنا من قبل الشرطة، وعندما أخبرنا الشرطي أننا عائدون من إيصال ولدنا الأول إلى الجامعة تعاطف معنا وقال: «لقد فعلت ذلك أيضاً في السنة الماضية» وأضاف: «في نهاية المطاف سوف تعتادون على ذلك» وتركنا نغادر بعد أن وجه لنا تنبيهاً لطيفاً.

لم أنم في تلك الليلة وأنا أتساءل ، هل سيكوّن ولدنا صداقات؟ هل سيغسل ملابسه الداخلية؟ هل سيستيقظ باكراً لحضور المحاضرة الأولى؟ وفي اليوم التالي اتصل بنا وكان صوته مبتهجاً ولم تكن هناك أية إشارةٍ إلى مزاجه السيئ الذي كان لديه في اليوم السابق، طبعاً فقد أمضى ليلةً رائعةً إذ كوّن صداقةً مع ابن العائلة التي التقيناها على الدرج يوم أمس وقابل بعض الفتيات كما أنّ أحداً منهم لم يحضر محاضرة الترحيب بل توجهوا إلى المقهى بالإضافة إلى أن أحداً لم يزعجه ليتناول وجبة الفطور بل إنه تخلّص من إزعاج أمه له.

كان ولدي قد أوشك على البدء بسنته الثالثة عند كتابتي لهذا الكتاب وكانت ابنتنا الصغرى على وشك البدء بسنتها الجامعية الأولى في جامعةٍ أخرى، وبالرغم من أن ابننا يقول إن تلك الأيام كانت أجمل أيام حياته إلا أننا واجهنا الكثير من المشاكل الصعبة وعملنا على حلها سواء بأنفسنا أو بالتعاون مع الآباء الآخرين الذين تعرضوا لنفس الموقف، ولدى اطلاعك على الكتاب ستجدني دائماً أقابل أولياء الطلاب السابقين والذين يقولون إنهم كانوا يتمنون لو كان لديهم كتاب كهذا لمساعدتهم. وفي مطلق الأحوال يوجد في الأسواق الكثير من الكتب التي توجِّه الطلاب بشكلٍ مباشر وليس الأهل القابعين في المنزل.

إنني آمل أن تساعدك خبراتنا (وخبرات الأهل الذين قابلتهم) أنت وأبناءك الطلبة لجعل هذه المرحلة الرائعة في حياتهم وحياتك في أحسن أحوالها.

«هل يمكنك الالتحاق بدورة لملء طلبات الانتساب إلى الجامعة؟»

obeikandl.com